

الدلالات اللونية للأزياء في الطقوس الحسينية لواقعة أطف

سلوى محسن حميد الطائي

كلية الفنون الجميلة

ملخص البحث

تناول البحث الحالي (الدلالات اللونية للأزياء في الطقوس الحسينية لواقعة أطف)، فدرس دلالات الألوان بوصفها رمزا ومعنى فاعل في تصميم الأزياء، ودورها في بث الرسالة السماوية ضمن توظيفها وتجسيدها في الطقوس الحسينية ومنها التشابيه. وقد احتوى البحث على ثلاثة فصول، اهتم الفصل الأول منها بالإطار النظري للبحث ممثلا بمشكلة البحث وأهميته، وانتهاء بتحديد أهم المصطلحات الواردة فيه. واحتوى الفصل على هدف البحث: تعرف دلالات الألوان للأزياء في الطقوس الحسينية لواقعة أطف. فيما اقتصرت حدود البحث على دراسة الدلالات اللونية للأزياء في الطقوس الحسينية لواقعة أطف في كربلاء.

أما الفصل الثاني، فقد تضمن الإطار النظري الذي احتوى على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول: قرابين القداسة الإلهية، فيما تناول المبحث الثاني/ المحور الأول: اللون بوصفه دلالة رمزية. أما المحور الثاني فقد عني بالدلالات اللونية في القرآن الكريم والفكر الصوفي. وقد تناول المبحث الثالث محورين: الأول: تناول: تمثيلات واقعة أطف في آداب وفنون النخبة وطقوس وشعائر العامة، والثاني اهتم بدلالات الألوان المصممة للأزياء في إحياء واقعة أطف .

وخاتما للإطار النظري، توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج، فضلا عن التوصيات والمقترحات.

الفصل الأول

أولا / مشكلة البحث وأهميته

كان لانتشار الدعوة الإسلامية تأثير وآثار نظمت الكثير من الأنشطة الإنسانية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، وما الفن بمختلف اتجاهاته سوى احد هذه النشاطات، إذ استلهم العقيدة الدينية وأسس من خلالها بنية جمالية ودلالية شكلت أسلوب جديد أطلق عليه الفن الإسلامي، حيث جسد أثره في كل المجالات: الشعر، الرسم، النحت، المسرح، العمارة، وغيرها.

لعب الفن دورا بارزا في التعبير عن الرسالة الإسلامية التي انتشرت بشكل واسع في كل بقاع العالم، إذ اوجد الاتصال الحضاري لمختلف البلدان، نتاجات فنية وممارسات طقوسية شعبية امتزجت ما بين الدلالية الرمزية والتشخيصية، لتجسد من خلالها مفاهيمها ومعتقداتها حول مختلف الأوضاع والأحداث. وهذه النتاجات والممارسات قوليه وتمثيلية تؤرخ الوقائع وتستلهم مروياتها التاريخية، مشكلة بنية دلالية خاصة بها وخاضعة لمضامينها، ومن هذه الوقائع هي (واقعة أطف) هذه الواقعة التي لم يعرف التاريخ الإسلامي مثيلا لها، لان العقيدة الإسلامية قد تبنت ثلاثة ركائز مهمة بحسب ما جاء في حديث الرسول الكريم(ص): "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان"، وقد تبني الحسين(ع)

الخيار الاول، وهو تغيير المنكر من خلال القوة وصمد عليه السلام امام كثرة الضلال والكفر حتى آخر قطرة من دمه.

واستمرت تداوليتها حتى تحولت إلى رموز دلالية تفسر وترسخ العقيدة لأتباع أهل بيت النبوة (ص) بعدهم الحجج البررة وسفن النجاة، إذ استمدت بقاءها من خلود الواقعة ومأساة أصحابها وخلود وولاء الناس لهم وإيمانهم الراسخ بهم، إذ حركت الواقعة ضمير الإنسانية جمعاء، وتناولتها الألسن بمختلف أشكالها ولغاتهما ودياناتها، وبما أنها أعطت دروساً لمن تبنى أفكارها طريقاً للنصر كالزعيم الهندي (غاندي) الذي تعلم من الإمام (الحسين) (ع) كيف يكون مظلوماً لينتصر، والفيلسوف الألماني (ماريبن) إذ قال منتصراً لها: "إن الحسين أحيا دين جده وقوانين الإسلام". (م ٢ ص ٢٩١). إذ كان الحسين (ع) الاعظم مثلاً للفداء والتضحية في سبيل المبادئ الحقّة السامية.

وعليه، إذ الأحرى أن نستحضر كل وسائل التعبير عنها والولوج لدراساتها، وما الدلالات اللونية للأزياء في الطقوس الحسينية لواقعة أطف إلا احد هذه الأبواب التي تأتي أهميتها من خلال استمرارية تجسيدها بمختلف المعالجات، ومنها قيام العامة من محبي أهل البيت بنصب العزاء كطقوس وشعائر حسينية شاخصة للعيان مدى الدهر، وعلى وجه الخصوص أعمال التشابيه التي تدعو لمعرفة أصولها ومرجعياتها الفكرية والدلالية، فتثير التساؤلات التي تتطلب البحث والدراسة.

وتأتي أهمية الدراسة الحالية لتناولها موضوعاً أطف البالغة الأهمية في التاريخ الإسلامي والذاكرة الإنسانية في تداوليتها، ولمعرفة آلية التعبير عنها، جاء البحث لتسليط الضوء على دلالات ألوان الأزياء واثار العقيدة الدينية لدى ممثلي التشابيه لأهميتها وارتباطها الوثيق بالواقع السياسي والاجتماعي والعقائدي، وغيرها. إذ يعد هذا البحث من البحوث البكر في دراسة هذا الاتجاه الفني تحديداً فيما يختص بالدلالات اللونية للأزياء حسب علم الباحثة.

ثانياً / هدف البحث :

يهدف البحث الحالي إلى:-

ـ التعرف على دلالات الألوان للأزياء في الطقوس الحسينية لواقعة أطف.

ثالثاً / حدود البحث :

يتحدد البحث بالاتي:-

* الحدود الزمانية: لعدم دقة توافر التواريخ التي تشير إلى قيام العامة بتجسيد الطقوس الحسينية ومنها التشابيه تحديداً، أصبح من المتعذر تحديدها زمنياً، إلا أن الباحثة ومن خلال البحث والتقصي عن مرجعيات ظهور التشابيه في مناطق أحيائها، استطاعت أن تحصر الحدود ما بين ١٩٣٥^(١) - ٢٠١٠ م.

* الحدود المكانية: أعمال التشابيه الخاصة بالواقعة والمنفذة في العراق في محافظة كربلاء حصراً.

* قامت الباحثة بدراسة استطلاعية تم من خلالها فرز المعلومات من قبل كل من:-

- عبدالله سامي (باحث وكاتب) / كربلاء.
- فلاح محمود خضر (دكتوراه/قسم التاريخ في كلية التربية/جامعة بابل).
- حاتم عباس بصيله (ماجستير/قسم تربية فنية/كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل) و(صحفي في مجلة كربلاء).
- عشيرة الشوافع ومنهم: (صبري محمود وعادل محمود).

* الحدود الموضوعية: دراسة الدلالات اللونية للأزياء في الطقوس الحسينية التي جسدت واقعة أطف كمشاهد تمثيلية أطلق عليها العامة (التشابه).

رابعاً / تحديد مصطلحات البحث :

١- الدلالات :

- علم الدلالة : هو فرع من فروع علم اللغة يدرس العلاقة بين الدال اللغوي ومدلوله ويدرس معاني الكلمات تاريخياً، وتنوع المعاني، والعلاقات الدلالية بين الكلمات، وما يترتب عليها من مجاز. (م٣ص٢٨٧).
- الدلالة : ما يتضمنه الشكل أو اللفظ من دلالة خاصة فيه، و(الدال): هو جزء من العلامة يرتبط بالمدلول، و(المدلول): يعني المضمون أو إيحاء الرموز إلى الأشياء وموضوعاتها. (م٤ص٥٢).

٢- اللون :

أ- لغوياً : (اللون) : هيئة كالسود أو الحمرة. وفلان متلون: أي لا يثبت على خلق واحد.
ب- اصطلاحاً : يعرف (اللون) فيزيائياً بأنه: ظاهرة اهتزازية كالصوت، ولكل لون من الألوان ذبذبة خاصة (أي مجموعة من الاهتزازات الموجية في الثانية)، علماً أن اللون والضوء هما من ضروب الطاقة المشعة.

- كما يعرف (اللون) بأنه: عمل سيكولوجي يتركز على شكل متميز من سلم الأطوال الموجية المتعددة للطيف المرئي. (م٥ص١٨٠). وان سلطنا أشعة ضوئية بيضاء عبر موشور زجاجي لتحلل لنا هذا الضوء إلى سبعة ألوان تبدأ من جانب بالأشعة البنفسجية والنيلي والأزرق والأخضر والأصفر فالبرتقالي والأحمر من الجانب الآخر. (م٦ص٢٤٢).

٣- الطقوس :

_ تعرف بأنها: سلوك طقسي شائع عند الإنسان يتم بطريقة متقنة، إذ تجري الطقوس وفق برنامج مفصل، يحدد الحركات والأصوات التي يجب القيام بها وترتيب تعاقبها. كما تعرف بأنها: نشاط بشري يتخذ من الأشكال رموزاً تعرض في بعض المناسبات أو تتجسد لإعطاء بعض الأعمال معنى معيناً-مثال هذا- الأعلام في الاستعراضات.

كما أن وللطقس وظيفة رئيسية هي: تحديد الحالات والأوضاع وتعيين ادوار الأشخاص فيها، وفقاً لطرائق معينة. (م٧ص٦٢).

٤- الأزياء : مفرد (زي)، والزي هو اللباس أو الهيئة. (م٨ص٣٦٦).

٥- واقعة أطف :

أ- لغوياً: وقع: (الوقعة): صدمة الحرب. و(الواقعة) القيامة، والوقعة: القتال، والواقعة ج: وقائع. (م٨ص٧٣٤).

- أطف: هي "ابرز واطهر مأساة عرفها التاريخ على الإطلاق، مجزرة دامية لآل الرسول (ص) كباراً وصغاراً. (م١٠ص١٥).

٦- التشابه :

أ- لغوياً : شبه : يقال هذا شبهه: أي شبيهه وبنيهما (شبه). و(المشتبهات) من الأمور: المشكلات. والمتشابهات: المتماثلات. و(التشبيه): التمثيل. (م٨ص٢٨٨).

- والتشابه: كلمة عامية أطلقت على المشاهد التمثيلية لواقعة ألطف، إذ يتم من خلالها تمثيل الأشياء أو الأشخاص أو الوقائع، ويمارسها عدد من الناس ضمن مجموعات في المجتمع العام بدوافع شتى.
- ٧- الفطرية : الطراز الفطري: هو طراز لا يرتبط بقواعد موضوعية، ويعتبر بدائية وفطرية، وأحياناً يطلق المصطلح على الفنون الشعبية. (م ١١ ص ٢٨٨).
- والأفكار الفطرية: هي التي تستمدّها النفس من ذاتها، دون أن يكون للإحساس أو للتجربة شأن فيها، وتمتاز بالوضوح والبساطة وهي عند (ديكارت) أساس المعرفة. (م ١٢ ص ١٨).
- ٨- الرمز : الإشارة والإيماء.
- ويعني أن تكون العلاقة بين حامل العلامة والمدلول اتفاقية (عرفية)، وغير معللة. إذ يكون هناك تشابه أو رابط مادي بين الاثنين، وهذا يعني _حسب (دي سوسير)_ أنها إشارة يرتبط فيها الدال والمدلول. والرمز عند (بيرس): علامة ترجع إلى الموضوع الذي تدل عليه حقيقة بفعل قانون ما يكون عادة تشارك أفكار عامة. (م ١٣ ص ١١٥).

الفصل الثاني (الإطار النظري)

المبحث الأول/ قرابين القداسة والإرادة الإلهية

ارتبطت ثورة سيد الشهداء الإمام (الحسين) (ع) وشخصيته ومبادئه بالألم، والألم بالأمل، والأمل بالإنقاذ والخلاص النهائي من أجل الإرادة الإلهية. إذ قال (الحسين) (ع)، حين قتل ولده الرضيع: "والله لانت أكرم على الله من الناقة، ولمحمد أكرم على الله من صالح، اللهم لا يكن أهون عليك من فضيل ناقة صالح، الهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه، وانقم لنا من هؤلاء القوم الظالمين، واجعل ما حلّ بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل، اللهم أحكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا". (م ٤ ص ١٧٨).

وحين قتل (الحسين) (ع)، رفعت العقيلة (زينب) (ع) يديها إلى السماء قائلة: "اللهم تقبل منا هذا القربان..."، إذ مرّ العاشر من محرم على آل محمد (ص) كله شجا مترامي الأطراف، أثّرت فجاجته في القلوب فأذابتّها، وفي المدامع فأدمتها، إلا أن المشيئة الإلهية جعلت من سيد الشهداء (ع): "وارثاً لأدم صفوة الله، ووارث نوح نبي الله، ووارث إبراهيم خليل الله، ووارث موسى كليم الله، ووارث عيسى روح الله، ووارث محمد حبيب الله (ص)، ووارث علي (ع) أمير المؤمنين". (م ١٥ ص ٣٢٢).

وقد كان جواب الإمام (الحسين) (ع) لأخيه (محمد بن الحنفية) حين طلب منه عدم الخروج إلى العراق؛ (شاء الله أن يراني قتيلاً ويرى النساء سباياً...)، فهو التفسير لهذه المشيئة الربانية، التي خططت لثورة سيد الشهداء، كما ذكرتها أسنة الرسل والأنبياء الأطهار وانزلها وحياً على نبيها الذي كان قربانها الرئيسي. إن المشيئة الإلهية هي التي جعلت (إبراهيم) (ع)، يحطّم آلهة قومه غير عابئ بالنمرود الذي أوقد ناراً لحرقة حياً. وهي إرادته تعالى التي دفعت (موسى) (ع)، ليقف بوجه فرعون الطاغية. وهي مشيئة (الله) التي دفعت (عيسى) (ع) إلى القول بوجه الأحرار اليهود؛ (انتم أبناء الشياطين)، وهي مشيئته تعالى التي أوحى لنبينا (محمد) (ص)، أن يسفّه أحلام قريش ويسب أوثانهم، ويحمل الرسالة السماوية والاندفاع بها مهدداً (كسرى وقيصر). (م ١٦ ص ٥٩).

وعليه، إن الاعتقاد باستشهاد الإمام (الحسين) (ع) في سبيل الحق ارتبط بالوقت نفسه بمكانته ودوره في الشفاعة لمحبيه يوم القيامة _ وحسب الأحاديث النبوية الشريفة _ أن نبينا (محمد) (ص) قال لأُم سلمة: "للحسين منزلة عالية عند الله لا يصل إليها أي مخلوق، حيث يشفع لشيعته يوم القيامة ويكون المهدي المنتظر من

ولده". (م ١٧ ص ٣٠٨). ومن هنا أصبح الموالين لأهل البيت (ص) ومنذ أمد بعيد يعظمون شعائر (الله) _ حسب ما جاء في القرآن الكريم _ في قوله تعالى: "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب". (سورة الحج: آية ٣٢)، ويأمرهم بنصب العزاء معلنين العويل والبكاء، فيعزّون بعضهم بعضاً بـ (الحسين) (ع)، ويقولون _ كما ورد في حديث الإمام (الباقر) (ع): "عظم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بالحسين، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليّه المهدي من آل محمد (ص)". (م ١٤ ص ١٨٧).

المبحث الثاني

المحور الأول / اللون بوصفه دلالة رمزية

بيّنت الدراسات أن تطوراً معرفي حدث نتيجة إدراك الإنسان للون، إذ كَوّن علاقة بين اللون والرمز لدلالاته ومعانيه، حيث انه أكثر ميلاً للألوان المعبرة عن الحياة والطبيعة، وكذلك الانتماء العقائدي الديني الذي ينتج من اثر البيئة التي تحيط به وتأثير الأفكار والمعارف المستقاة على شخصيته وميوله ورغباته. كما أن التطور في اختيار الإنسان للألوان، يعبر عن تقييمه لأهمية ودلالة لون ما دون غيره، وتحدد هذه الأهمية في تلبية رغبة ما من عواطفه وأحاسيسه واحتياجاته، وهذا التقييم لدلالة ومعنى لون دون غيره تختلف من شخص إلى آخر ومن عقيدة إلى أخرى لدى الشعوب المختلفة في ثقافتها والمتبانية في دياناتها. إذ نجد أن للألوان دلالات خاصة في الديانات لدى الشعوب، فاللون الأحمر _ مثال ذلك _ عند الهنود يعني الطبقة الاجتماعية العالية، أما اليابان فيستخدمونه لطرد الكوابيس، وهو لون القداسة عند الصينيين. (م ٢٢ ص ١). أما اللون الأصفر فهو عند الهنود يرمز إلى الحدة والكثافة وهو لون شمسي حار يرمز إلى القوة والحكمة وحب الهي. أما الأصفر المائل للأخضر، فهو لون قمري بارد يرمز إلى الحسد وعدم الثبات والخيانة لدى شعوب أخرى. ويرمز اللون الأبيض إلى السلام والاستسلام، بينما يدل اللون الأسود عند الكثير من الأقوام، بأنه لون الحزن والموت، والأزرق يعني الحقيقة أو الفلسفة ويعني طرد للعين والحسد، كما إن الشياطين عند بعض الشعوب لونها أزرق، وأما في تقاليد البعض الآخر يعني البركة والحياة، وعلى العكس، فإن الأحمر لديهم هو الشيطان ولدى الصين هو المعرفة أو السحرة البشرية واللون الأزرق يمثل لون زرقة السماء الصافية. كما نجد أن رموز أجناس البشر كانت غير الرموز الدلالية المألوفة الآن، إذ كان يرمز للمصريين باللون الأحمر، وللشوريين باللون الأصفر، وللشماليين باللون الأبيض، وللأفارقة باللون الأسود. (م ٥ ص ١٨٠). وعليه، يمكن القول إن الألوان ارتبطت منذ القدم بدلالات ومعاني ورموز يألفها الإنسان ضمن بيئته، وكان لها تأثير واضح حيث مازال يستخدمها في تشبيهات مجازية عديدة، فلكل لون معنى خاص به تشير إليه العديد من المصادر الفنية والدراسات السيكلوجية _ مثال ذلك _ إن اللون الأبيض هو الأكثر نورانية وصفاء ونقاوة وبراءة، أما الأسود فهو لون مظلم بمعاني كئيبة ومحنة. (م ١٨ ص ١٤١). ومن هنا، كان لرمزية الألوان ودلالاتها، أساس فسيولوجي، إذ وجد البعض من العلماء عن طريق التجارب والتحليل، أن نبض الإنسان يتسارع أثناء رؤيته للون الأحمر واللون الأصفر، كما يزداد توتر الضغط الشرياني، أما الألوان الباردة مثل اللون الأخضر والأزرق وكذلك الأسود، فلها مفعول معاكس. (م ١٩ ص ٢٤٠). أي " أن الألوان تحدث تأثيرات نفسية في النفس البشرية، مباشرة وغير مباشرة، أما المباشرة منها فهي التي تستطيع أن تظهر شيء من أو معنى يدل على تكوين عام بمظهر الفرح أو الحزن وغيرها من الدلالات النفسية. (م ٢٠ ص ١٨١).

وهذا ما أفاد الكثير من الدارسين والباحثين في الاستدلال على اختيار البعض ضمن اختصاصات معينة للألوان ودلالاتها، والتي تؤدي دوراً مهماً في إظهار المعاني الروحية، وخاصة عند الجماعات التي تقوم بإحياء الطقوس والشعائر الحسينية مدار البحث والدراسة الحالية. ويمكن القول، إن اللون ودلالاته أحد الوسائل أو الأدوات التي يستطيع الإنسان الاستعانة بها للتعبير عن عواطفه وأحاسيسه وطقوسه، إذ قيل: " إن اللون شعر صامت نظمته بلاغة الطبيعة وبيانها، فهو كلامها ولغتها والمعبر عن نفسياتها. ومن خلال اللون يمكن معرفة شخصية الفرد وما يرغب فيه وما يرفضه، هذا لأن لكل لون دلالة، والألوان تؤثر في النفس تأثيراً إيجابياً أو سلبياً عن طريق ما تحدثه فيها من إحساسات، ويحصل منها اهتزازات يوحي بعضها بأفكار مريحة وأخرى مزعجة. (م ٢١ ص ٢٦٨).

ومن حياتنا اليومية، نجد الكثير من الصور التي تحمل المعاني والدلالات والتي تشهد على ما للألوان من طاقة رمزية، إذ أن للون في مجال التمثيل والأزياء الخاصة به، دلالات ومعاني مهمة لإحداث قوة جذب وانتباه، وله الدور الكبير في التأثير في نفوس ومشاعر المتلقين بمختلف ثقافتهم.

المبحث الثاني

المحور الثاني/الدلالات اللونية في القرآن الكريم والفكر الصوفي

مما لا شك فيه، أن دلالات الألوان تبقى رهينة خصوصيات الشعوب، وعقائدها وأعرافها وتقاليدها من حيث العموم، فاللون الأخضر أو الأحمر أو الأصفر له من الدلالات الحسية-العقلية، غير الذي نعرفه في الهند أو الصين، أو في أوروبا -مثلاً- إلا أن هذا لا يلغي أن هناك دلالة حقيقية روحية لهذا اللون أو ذاك. كما ترتبط دلالات الألوان بالعقل عن طريق الحواس لتكون له حصيلة معرفية باللون لا تتعدى حدود عالمنا الحسي، وهذه المعرفة يشترك فيها معظم الناس مع تفاوت يسير في مستوى المعرفة وتلقيها.

وكما ازداد تطور المستوى المعرفي (الحسي والعقلي) في اكتشافه للكثير من الدلالات، عبر سلم من التجارب وتراكم الخبرة، تبقى الكثير منها مغيبة عن العقل، وقد حاولت وما تزال بعض نظريات علم النفس، أن تعرض تجاربها واستدلالاتها ونتائجها في مجال اللون وترصدها جنباً إلى جنب مع معطيات العقل، إلا أن هذه المحصلة لم تنجح حتى الآن في حسمها لموضوعة الألوان ودلالاتها، إذ يشبه ويصف الفلاسفة وعلماء النفس عملية التنوق والارتياح لها بالموسيقى. (م ٩ ص ٧٠).

ومن هذا المنطلق، ترى الباحثة أن الدلالات اللونية التي تناولتها الكثير من الدراسات النفسية والفلسفية، هي في أمس الحاجة لأن تتجاوز وتتفاعل مع المعطيات الروحية لترصين مفاهيمها الفكرية والذوقية، خاصة ماله علاقة بالأزياء ودلالاتها اللونية والموظفة في إحياء واقعة ألطف قيد الدراسة الحالية.

وعليه، من الأهمية أن نعرض والتحليل على أهم منبعين من المنابع الروحية والذوقية، اللذين تتاولا بعض مدلولات الألوان، وهما: القرآن الكريم والفكر الصوفي، وكالاتي:-

١. اللون الأبيض :

قال تعالى في كتابه الكريم: "يوم تبيضُ وجوهٌ وتسود وجوهٌ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون*" وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون". (سورة آل عمران: آية ١٠٦* ١٠٧).

نجد في هذه الآية أن اللون الأبيض قد ارتبط بالوجه، ومن ظاهر النص يبدو أن دلالة الوجه الأبيض أو بياض الوجه في هذا المقام بأن جزاءه الرحمة والخلود فيها.

ويرى (الراغب) : أن ابيضاض الوجوه عبارة عن المسرة، واسودادها عبارة عن الغم (م٢٣ ص ٧٩)، وفي قوله تعالى : "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم". (سورة النحل: آية ٥٨).

ويروى أن الرسول الكريم (محمد) (ص) قال: "البسوا من ثيابكم البياض وخير ثيابكم البياض" (م٢٤ ص ٦٢)، كما يذكر أنه دخل مكة يوم الفتح ولوائه أبيض.

إن اللون ودلالته كان ضمناً ما تأثر بمفاهيم الحياة الجديدة التي أسبغها الإسلام على الموجودات (م٢٥ ص ٢٨)، ولعل معنى الصفاء والنقاء هو المقصود في اختيار اللون الأبيض عند المسلمين لباساً في أثناء الحج والعمرة (م٢٦ ص ١٦٣). كما أخذ لقداسته كفناً للميت وللغافرين بالجنة. (م٢٧ ص ٤٠).

٢. اللون الأزرق :

ورد هذا اللون مرة واحدة في قوله تعالى: "يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً". (سورة طه: آية ١٠٢).

ويرى (ابن عربي) في تأويله للآية الكريمة، أن دلالة اللون تتطوي تحت معنى المجرمين، والإجرام كلمة تدل على الضلالة، الحسد، الجور، الرياء، الكذب، النفاق أو القتل وغيرها من المعاني التي تدل على مخالفة الله سبحانه وتعالى. (م٢٨ ص ٣٣١).

٣. اللون الأخضر :

قال تعالى : "فتصبیح الأرض مخررة" (سورة الحج: آية ٦٣)، وقوله كذلك: "ويلبسون ثياباً خضراً من سندس". (سورة الكهف: آية ٣١).

في الآية الأولى ارتفع اللون الأخضر ليدل على ارتباطه بالحياة الدنيا، كما إن من دلالاته ما ارتبط بالطبيعة والأرض، واغلب دلالاته ارتبطت بالجنة وما فيها من أزياء وفراش وهو ما ورد في الآية الثانية. إذ أن دلالة اللون الأخضر في كلا الآيتين تثير في الإنسان حالات من التأمل الباطني للأشياء، وهو إشارة إلى جمال النعمة التي انعم الله بها علينا في الدنيا والآخرة، لننقاد بتسليم إلى الطريق السوي وننال رضا (الله) تعالى.

ويرى (ابن عربي) في تأويله لسورة الكهف : أن من يعمل الصالحات لهم أجرهم وإن الأجر يستحق بالعمل دون العلم، إذ به يستحق ارتفاع الدرجة والرتبة (جنات عدن). (م٢٥ ص ٢٨) و (م٩ ص ٧٥).

٤. اللون الأصفر :

هذا اللون من الألوان الأساسية وقد ورد في أكثر من سورة، وبدلالات مختلفة منها ما يتعلق بالحياة الدنيا، ومنها ما يتعلق بالآخرة.

ففي قوله تعالى : "إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين" (سورة البقرة: آية ٦٩)، نجد أن اللون الأصفر دلالة على لون البقرة وبكونه وصفاً لها، وهو هنا شديد الصفرة، وهذا النوع من الصفار يبعث في النظر المسرة كما يبدو من ظاهر النص. أما في قوله تعالى : "ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون" (سورة الروم: آية ٥١)، نجد أن في الخطاب الإلهي دلالة على التنبيه والتحذير، والمراد منه التحسب لتجنب الكفر، كما نجد مقدار رحمته لأنه ينذر خلقه ويعظمهم باستمرار كي لا يسيروا إلى التهلكة. (م٢٨ ص ٣٣٣).

٥. اللون الأحمر :

ورد هذا اللون في سورتين فقط: إذ قال تعالى : "فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم خمرٌ مستنفرة * فرّت من قسورة" (سورة المدثر: آية ٤٩ * ٥٠ * ٥١).

وفسر (ابن عطاء) الاستنفار: على انه حالة تحدث نتيجة تحسب لوقوع طارق معين، إذ مثل لنا تعالى حالة المخالفين لأحكامه، فحينما يذكرهم تعالى بطاعته يصبحون وكأنهم حمر النعم: أي الإبل ذات اللون الأحمر. فارتبط اللون الأحمر هنا بالحرر المستفزة للدلالة على الفرار من الخطر. (م٩ص٧٤).

أما في قوله تعالى: "وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ" (سورة فاطر: آية ٢٧)، ورد اللون الأحمر وفيه إشارة إلى درجاته المتعددة، ودلالاته على تنوع هذا الطريق بحسب درجاته. كما نجد أن هذا اللون قد توسط بين لونين هما: اللون الأبيض واللون الأسود، وعند الصوفية إن في هذا التوسط للألوان إشارة إلهية للطرق التي يمكن أن يسلكها الإنسان للمعرفة. (م٩ص٧٤).

٦. اللون الأسود :

ورد اللون الأسود في القرآن الكريم وله من الدلالات الشيء الكثير، إلا أنه في المحصلة لون مضاد للأبيض، ففي قوله تعالى: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ"، (سورة آل عمران: آية ١٠٦)، يتضح أن اللون الأسود ارتبط بالوجه دون سائر الجسد، إذ أن دلالاته على من كفر بعد إيمانه.

وفي قوله تعالى: "كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ" (سورة البقرة: آية ١٨٧)، إشارة إلى ارتباط اللون الأسود بالخيوط وهو يمثل من جانب الوجه المسموح فيه الأكل والشرب، ويمثل الوجه الآخر منه المقابل للخيوط الأبيض حدود المنع من الأكل والشرب في رمضان، وهو لون ذو دلالة يمثل الفجر ونقيضه الظلمة.

وفي قوله تعالى: "وَإِذَا بَشَرَ أَدْنَاهُمْ بِمَا ضَرَبَ الرَّحْمَنُ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ" (سورة الزخرف: آية ١٧)، ارتبط اللون الأسود مع الوجه للدلالة على الإحساس بالخيبة والمصير المشئوم والحزن الدفين، وذلك لعدم تطابق سلوك صاحب الوجه الأسود مع مثل الرحمن.

أما في قوله تعالى: "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَةٌ أَلْسِنَهُمْ مِّثْلُ ثَوْبٍ مَّثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ" (سورة الزمر: آية ٦٠)، قد ارتبط اللون الأسود بوجوه الذين كذبوا على الرحمن وهو دلالة كل متكبر أثيم.

والملاحق (رقم ١)، يبين دلالات الألوان في القرآن الكريم وتفسير المتصوفة.

المبحث الثالث

المحور الأول / تمثيلات ألطف في آداب وفنون النخبة وطقوس وشعائر العامة

شكلت واقعة ألطف مادة غنية للكثير من الأدباء والفنانين والعامة من الناس الذين يداومون على إحياء الطقوس والشعائر الحسينية من محبي وموالي أهل البيت (ص)، وبمختلف التخصصات والاتجاهات أنتجوا أعمالاً أدبية وفنية ووظفوا مختلف المواد والأدوات التي لا تخلوا من استقراء لتداولية الواقعة وموروثها الشعبي، إذ لم تكن ولن تكون مجرد حادث تاريخي عابر؛ بل كانت ثورة دينية وسياسية ضد مختلف أوجه الظلم والفساد، ولها أبعاد فلسفية ونفسية تضمنت مفاهيم وقيم وتقاليد إنسانية عالية، هي أساس تداوليتها وبقائها وخلودها على مر العصور.

والكثيرون من الشعراء والأدباء ما زالوا ينظمون قصائدهم وكتاباتهم، كي ينقلوا المتلقي من خلال الواقعة إلى مكان الضريح المقدس، ليمتدح روحياً بما يبثه خطابهم من مشاعر أليمة، إذ تخشع الأنفس لائذة به، مستنصرة إياه، راحة ساجدة لربها تائبة، هذا لأنه المكان الذي فيه يتنفس الإنسان كرامته وحرية، ويستلهم منه معاني دينه وأصول واجباته، فـ (الحسين) (ع) بحق (باب الحوائج وسفينة النجاة).

إذ قال شاعر أهل البيت (ع)، (الحسين بن الضحاك) :-

ومما شجا قلبي وكفكت عبرتي محارم من آل النبي استحلّت
ومهتوكة بألطف عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس لما تبدّت
وربات خدر من ذؤابة هاشم هفن بدعوى خير حيّ وميت
أردّ يداً مني إذا ما ذكرتها على كبد حرّى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت آمالها ما تمتت (م٤ ص ١٨٧).

وقال (محمد مهدي الجواهري)، في قصيدته "فداء لمثواك" :-

فداء لمثواك من مضجع تنوّز بالأبلج الأروع
بأعقب من نفحات الجنان روحاً ومن مسكها أضوع
تلوذ الدهور فمن سجد على جنبه ومن رُكّع
شممتُ ثراك فهبّ النسيم نسيم الكرامة من بلقع

فيا بن البتول وحسبي بها ضماناً على كل ما أدعي

ويا بن النبي لم يضنّ مثلها كمثلك حملاً ولم تُرضع (م٢٩ ص ٥٧٣) و (م٣٠ ص ٣).

إن واقعة ألطف من حيث كونها قامت بمشيئة إلهية بكل أسبابها مقدماتها ونتائجها. شكلت دافعاً ومنطلقاً أساسياً لتمثيلات عدّة في مختلف النشاطات الإنسانية وعلى امتداد زمانها، وإن أي نشاط يعتمد الإنسان في بنائه لابد وأن يؤدي إلى توظيف بنية جمالية وروحية، وغايات لامادية لا تحد من عملية تأويلها، هذا لأن أي منتج ومبدع حين يلجأ إليها كي يستمد من معانيها؛ فهو يخاطب ويستنهض فطرته التي جبل عليها، وبالتالي فهو يحيل شكواه ونجواه إلى خالقه ليستمد منه العون والقوة في التصبّر والتغلب على ما يقوّض إنسانيته، فيكون مساره الأمثل أن يحتذي بمجريات ألطف، ويوظف من خلالها مقاصده الظاهرية أم الباطنية، وبهذا يتحول نتاجه إلى خطاب ورسالة أخلاقية، تعكس مبادئ وقيم عليا تساعد بشكل أو بآخر على نشر وإحياء ما نادى به الرسالة السماوية الخالدة.

وفي مجال القصة، كان (جبار ياسين) : "قد استهل قصته التي كتبها باللغة الفرنسية (سما معتمة بالنجوم)، بهواجس قائمة عن تاريخ العراق منذ (٦٨٠هـ - ١٩٩١م)، وهو تاريخ الشهادة والحزن المستديم، قصة عهود طويلة من الطغيان ولكن بألم واحد...، إنها حكاية يتلاحم فيها العصران مثلما تتلاحم فيها الإرادة والشهادة ويبقى الطغيان والألم وصوت الوطن الجريح يئن جابر.. يا جابر مادريت بكربلاء اشصار من شيوخ النار" (م٢٧ ص ٨٦).

أما في مجال التمثيل والمسرح، فقد كان لمعنى عاشوراء حضور كبير وظّف عبر عروض مسرحية، منها المسرح الحسيني في كربلاء الذي أحيا الواقعة بنشاطات شتى كـ (المهرجانات الشعرية والمعارض التشكيلية والعروض التمثيلية المعاصرة)، وغيرها من النشاطات التي تجسّد واقعة ألطف بأساليب تسرد إشكاليات العصر عبر الشبكات التلفزية والإذاعية في مختلف بقاع العالم.

وفي مجال الفن التشكيلي (رسم أو نحت)، تحول الرأس المقطوع والدماء السائلة والكف والخيول والرايات والسيوف والخناجر، إلى رموز دلالية متميزة في الكثير من النتاجات التي تناولت موضوعة الواقعة، مما شكلت منطلقات بنائية مهمة في مسيرة الفن العربي الإسلامي بشكل عام وفي الفن العراقي المعاصر بشكل خاص، منذ ستينات القرن الحالي وحتى يومنا هذا، إذ كانت لأسماء مثل: (كاظم حيدر، شاعر حسن آل سعيد، خالد الجادر، صالح الجميعي، رافع الناصري، ضياء العزاوي) وغيرهم، دور في توظيف ثورة ألطف.

وعليه، فإن التمثلات الشعبية للطقوس والشعائر الحسينية بشكل عام ولواقعة الطف بشكل خاص، قد تنوعت ضمن توظيفات متعددة ومنها (التشابه)، عبر مشاركات وجدانية تنتقل ذات الإنسان من خلالها لتتجسد في شخصها الحرية والنبيل والعظمة ومعاني الخلاص من الظلم والجور، والمشاركة الفاعلة في عزاء أهل البيت (ص). إذ تتميز معاني ودلالات هذه التمثلات بصدقها وعفوية طرحها، لأن تشابه واقعة الطف هي الممارسة الوحيدة التي تجرد الناس بمختلف ثقافتهم وانتماءاتهم من الشوائب والنزاعات، وأحياناً كثيرة تذوب هذه المستويات الثقافية لتشارك عامة الناس في إحياء ذكرى عاشوراء. كما أن التشابه جزء وأساس من أسس إحياء وترسيخ العقيدة، وبالتالي فهي تؤدي وظائف نفعية وتعليمية تثقيفية، تعمل على تثبيت هذه العادات والقيم الأخلاقية الدينية التي تتمسك بها الجماعة، أما كل المحاولات التي تطرأ على تطويرها، فهي تبقى رهينة الأدواق وضمن النكهة الشعبية المثقفة الخاصة.

المبحث الثالث

المحور الثاني / دلالات الألوان المصممة للأزياء في إحياء واقعة الطف

تشكل الألوان ودلالاتها المصممة بنية مهيمنة في الأزياء المصممة لإحياء ذكرى عاشوراء، من خلال الوظائف المتعددة التي ترتبط بها، إذ يدرك اللون كنشاط ذهني قادر على إيضاح جوهر الصلة القائمة بينه وبين الشكل ومعناه، أو بينه وبين طبيعة النفس البشرية، فضلاً عن الطابع الذوقي والثقافي الذي يؤثر في عملية التنظيم القائمة على إظهار الانطباعات النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والتي تحدث نسجاً وواقعاً سورياً وتمثيلاً، وفق حالات الاتصال والانفصال بين الطابع الجماعي والطابع الفردي من جهة، أو بين المعنى الذاتي والمعنى الموضوعي من جهة أخرى.

وعليه، فإن للألوان ودلالاتها خاصية متفردة عند الأفراد والجماعات التي تجسد وتحيي الطقوس والشعائر الحسينية_ ومنها من يمثل الأدوار في (التشابه)_ إذ أنها تدخل في حيز التراسل الحسي والروحي، فيصبح المرئي من إحياء هذه الطقوس مسموعاً والمسموع مرئياً أو ملحوظاً ومخلداً، بمعنى أن الحواس تتداخل مع الروح لتشكل انزياحاً أو انحرافاً بمنح المخيلة جواً إيحائياً يحقق خرق تراسلي، فتصبح رسالتهم الشرعية وسيلة من وسائل إفراغ المحتوى النفسي الرافض لشتى أنواع الظلم والاضطهاد، إذ يقوم الأفراد من الشخصيات بتسخير الألوان في تشخيص المراتب ذات الدلالة والمضامين الرمزية، وهذه المراتب المصممة من الأزياء المستخدمة لإحياء ذكرى عاشوراء، تصبح بواسطة ألوانها شهادات وشخصات، ناهيك عما تضفيه من إيماءات دلالية إليها، إذ الأخلاق على سبيل المثال تبدو بيضاء، والآمال خضراء، والموت أحمر اللون، والمنايا سوداء، والراية البيضاء دلالة الطهر والنقاء والسلام والصفاء.

وكثيرة هي الشخصيات التي نصبت العزاء لآل البيت (ع)، ونذروا أرواحهم لتمجيد ذكراهم بالعمل الدعوي في ديمومة الشعائر الحسينية ومنهم: (الحاج جواد كاظم، الحاج علي محمود عبدعلي أبو حاوي، الحاج عنبر، السيد عادل محمود، ميرزا القزويني، السيد محمد حسن علي، السيد صبري محمود،....)، وغيرهم من الشخصيات التي تنتمي إلى عشائر أكملها تنذر حياتها لإحياء ذكرى عاشوراء من كل عام وفي ذكرى كل ماتم لآل البيت (ع)، ومن هذه العشائر هي: (عشيرة القزاونة، وعشيرة الشوافع، وعشيرة آل عنبر، وعشيرة الملة آل حسن...) وغيرهم. إذ أن لكل فرد من الأفراد دور يؤديه في يوم العاشر من محرم، فيجتمعون قبل عدة أيام من هذا اليوم لإجراء التمارين والتدريبات التمثيلية للقيام بالأدوار المنوطة بهم، ومنهم الخطاطين والرسمين والممثلين من ذوي الخبرة في الإخراج والشخصيات الذين ينقلون عن قراء المجالس المعلومات

الدقيقة، كي يتوصلوا في النهاية إلى تحديد ورسم صور الأشكال والشخصيات بأزيائها والاهتمام بالدلالات اللونية التي ترتديها لإيجاد شبه مقنع ومعنى مؤثر في الشخصية المراد تقليدها أمام العامة، فيطلق عليهم تسمية (التشابه)، وهؤلاء الشخصيات من الأفراد يستعرضون تشابيههم أمام حشد كبير من الجمهور المتلقي والمعزي في الوقت نفسه، مجددين ولاؤهم وعدم نسيانهم لآل البيت (ع) وللتعاليم الدينية، من خلال مشاركتهم الجماعية للجزاء الحسيني.

الفصل الثالث

اجراءات البحث

أولاً : مجتمع البحث

نظراً لسعة مجتمع البحث، ولطول المدة الزمنية من (١٩٣٥ - ٢٠١١) ، تعذر إمكانية حصر أعدادة إحصائياً، لكثرة من يقوم بأدوار التشابه، والتجديد الحاصل في الازياء والوانها المستمرة والمستخدمه في أماكن عديدة داخل المحافظة واقيصيتها سنوياً، فقد اطلعت الباحثة على ما منشور ومتيسر من مصورات متعلقة بمجتمع البحث والمحددة دراستها، علاوة عن قيام الباحثة بتصوير بعض مشاهد التشابه للشخصيات والتي تتجسد عادة في الشارع امام عامة الناس.

ثانياً : عينة البحث

قامت الباحثة باختيار عينة البحث، وبما يتناسب مع حدود البحث، إذ تم جمع مجموعة من المصورات بوصفها عينة البحث والتي حصلت عليها من الشبكة العالمية للمعلومات اضافة لما نشر في الصحف والمجلات المتخصصة في تغطية احداث الذكرى للفاجعة، فبلغت (٣٠٠) أختيرت بطريقة قصدية ، بناءً على ما توصلت إليه الباحثة من خلال الإطار النظري للبحث، وصولاً إلى النتائج والاستنتاجات فيما بعد ، الا أنها أفرزت ما عدده (٤٠) مصورة كنموذج للتحليل، واستبعدت كل صورة او مشهد قد تكرر فيه نفس الأسلوب ونفس الموضوع أو يحمل الدلالات والأشكال نفسها ، لاسيما وإنها كانت موظفة في العينة المنتقاة .

ثالثاً : أداة البحث

من أجل تحقيق هدف البحث في الكشف عن الدلالات اللونية للازياء لواقعة الطف، اعتمدت الباحثة على ما توصلت إليه في الاطار النظري، وانتهت بها الى صياغة اداة مبسطة _ملحق رقم (١)_تتضمن طبيعة اللون ودلالاته وفق القرآن الكريم والفكر الصوفي ووفق الرؤية المعاصر.

رابعاً : منهج البحث

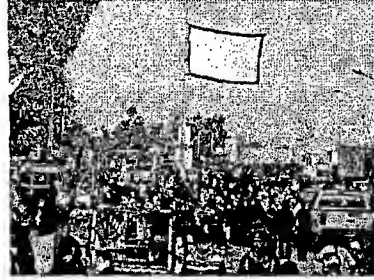
اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي (الأسلوب التحليلي [تحليل محتوى]) ، في تحليل عينة البحث تماشياً مع هدف البحث في : الكشف عن الدلالات اللونية للازياء لواقعة الطف.

١. الوصف العام : وصف بصري للالوان في ازياء التشابه.

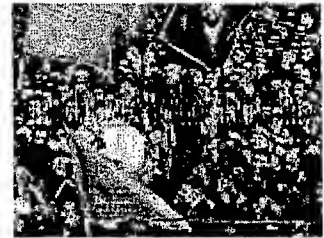
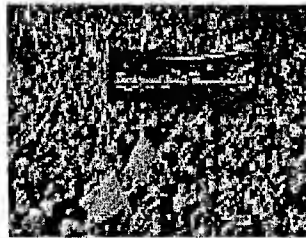
٢. تحليل العمل الفني .

وقد قامت الباحثة بتسجيل ما تمليه الدلالات اللونية للازياء عند التشابه، إذ جاءت من خلال إجابة البعض من الشخصيات ممن لهم دور في خدمة المواكب الحسينية، كذلك من خلال المصورات التي التقطت لهم أثناء أداء الأدوار والقيام بتحليلها فكانت كالآتي:-

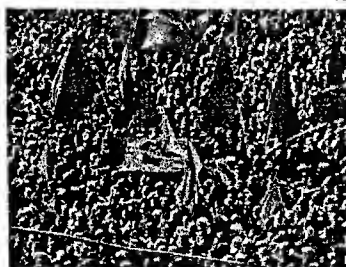
(١) الراية البيضاء : هي رمز صفاء النفس ودلالة الطهارة والنقاء والشهادة. وفي وقتنا الحاضر يرمز بالراية البيضاء إلى مدينة الهندية لتمييزها عن المواكب الأخرى، إذ يُرسم الأئمة الأثني عشرة عليها، ويحيط بها الخيوط المتدلية (خيوط الزينة كالدانتيل) كنوع من التجميل.



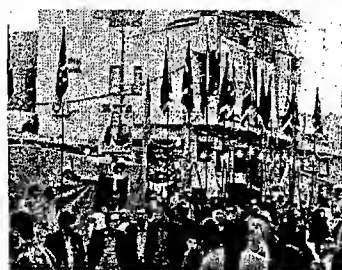
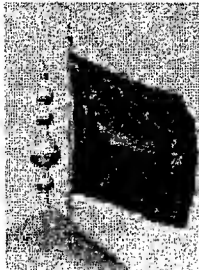
(٢) الراية الخضراء: هي رمز العلويين. ويروى في الكتب التاريخية إن الراية وهي علم ضخم اخضر اللون كان يحمله أبي الفضل العباس (ع) يوم عاشوراء، بينما اللواء الأخضر كان يحمله الحسين (ع). (م ١٤ ص ١٩).



(٣) الراية الحمراء: وهي رمز ودلالة الدم والقتل وترفع في اليوم العاشر فقط من محرم، إعلاناً للويلات والثبور لما أصاب أهل البيت (ع).



(٤) الراية والأعلام السوداء : هي رمز ودلالة الحزن والأسى والألم على المصاب الجلل.



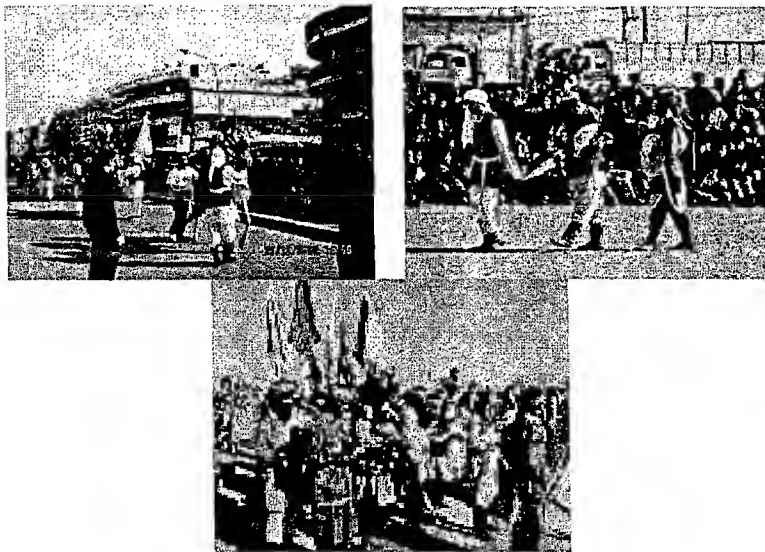
(٥) الزي الأخضر والأبيض: هو دلالة وزى العلويين، إذ تكون عمامة الإمام الحسين(ع) خضراء اللون، وغطاء رأس الرضيع أخضر وملطخ بالدماء وقمطاه كذلك.



(٦) الزي الأسود : هو زي النساء السبايا الهاشميات، وتمثل أدوارهم النسوة من العمامة مع أطفالهم بزيهم الأخضر، فتكون هؤلاء النسوة بحالة من الترفع والكبرياء رغم الأغلال والقيود التي وضعت عليهم.



(٧) الزي الأبيض والبنّي : هو زي أصحاب الحسين(ع) ممن استشهدوا دونه يوم ألطف.



(٨) الزي الأحمر: هو زي (الشمر) الذي يقتل الحسين (ع) كذلك هو زي (عمر بن سعد) و(يزيد) إذ يلبسون ألوانا براقه مبهرجة دلالة العبث والفوضى والزهو. وما يميز الشمر، انه يرتدي خوذة تحتوي على الريش الملون بالأحمر غالبا، والريشة هي رمز القيادة والرتبة، دلالة لونها الأحمر يتأتى من رمزيتها ومعناها القتل والخطر.

(٩) الزي الأحمر والازرق: هو زي ودلالة القتل الكفار الذين اصطفوا تحت إمرة الشمر يوم عرض التشابيه.



- (١٠) الحصان: يتم اختياره قصدياً بلونه الأبيض، والحصان الأبيض هو (ميمون) فرس الحسين (ع)، إذ يقومون بتلوين السرج باللون والصبغة الحمراء دلالة على الجروح والدماء التي سالت من الإمام الشهيد (ع).



- (١١) السيوف: تكون صناعتها من حديد وتطلى بلون معين أما باللون الأبيض أو الفضي، بينما يلمخ سيف الشمر ومن يمثلون دور الكفار باللون الأحمر دلالة على القيام بالجرم.



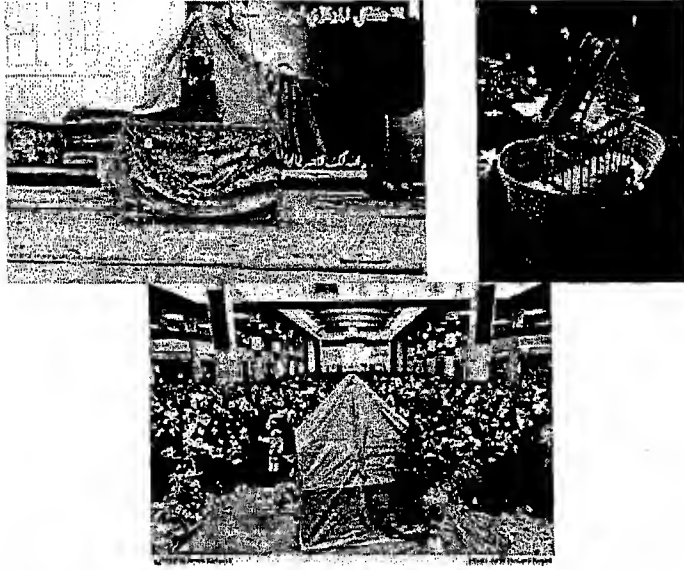
الدروع: وتكون عادةً أما مصنوعة من النحاس أو الفافون لسهولة حمله أثناء الاستعراض.



- (١٢) الكف: ويرمز بها إلى كف العباس (ع) وتصنع من القماش الأبيض وتصبغ باللون الأحمر، وتوضع فوق عمود يحمله بعض الأفراد.



- (١٣) المهد الخالي والخيام المنصوبة، جميعها من الأدوات التي يستعان بها أثناء القيام بالتشابه يوم العاشر.



وبما أن التشابيه هو عمل جماعي، فإن للأفراد داخل هذه الجماعة أدوار تمثيلية تتخللها حركات وأقوال مقصودة يراد بها التأثير في عامة الناس وإيصال مضمون الرسالة الحسينية.

الفصل الرابع

أولا/ نتائج البحث :

في ضوء ما جاءت به الدراسة النظرية في الفصل الثاني، وتحقيقاً لهدف البحث، توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية :-

(١) هناك تأثير واضح وان كان جزئياً عند التشابيه، فيما يخص الدلالات اللونية للأزياء المستخدمة المعاصرة، مستمدة هذا التأثير من دلالات الألوان في القرآن الكريم، خاصة اللون الأخضر والأبيض ومضامينهما ودلالاتهما.

(٢) لم يكن الإنسان المسلم بعيداً عن الوقائع التاريخية، في كيفية الاطلاع على أصولها وأهدافها، وفي كيفية توظيفها. وهذا الاطلاع نابع من إدراك معرفي وخزين ثقافي وتربية عقائدية ودينية، تدفعه إلى أن ينتهج نهجا معيناً دون آخر، والقيام بدور معين دون غيره. وهذا ما أفاد منه التشابيه، إذ هم يجددون المبايعة ونصب العزاء في كل عام وفي كل مأتم، متخذين من قوله تعالى: "وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" مبدءاً لفهم معنى الحياة والموت، وشعارهم: (أبد والله يا زهراء ما ننسى حسيناه).

(٣) إن الأزياء المستخدمة في تمثيل التشابيه، إنما تأخذ وتستلهم من المصادر المختلفة التي وثقت بعض أوصافها، فجاءت محاولة الممثل المعاصر كي يوظف نوع من التقارب بارتداء ما يشابهها بغية الإحياء بالأجواء القديمة التي وقعت خلالها الواقعة، وعلى العكس من الألوان ودلالاتها المتباينة، فهي ليست ذات علاقة قاطعة بدلالات الألوان في القرآن الكريم، وإنما خرجت بفطرية استمدها الإنسان من موروثة الشعبي وتراثه وخزينه المعرفي اللاشعوري.

(٤) إن الدلالات اللونية للأزياء في الطقوس الحسينية، وإن كانت تحتفظ بسمات الفن الشعبي ودلالاته الفطرية، إلا أنها تجمع في أحيان كثيرة ما بين التعبيرية والواقعية والرمزية في آن واحد، إذ هي تعتمد على اختيار رموزها من المفهوم العام لمدلولات الرمز.

(٥) أن الدلالات اللونية للأزياء المستخدمة في التشابيه، تحتل التطوير والتغيير والتأويل، تبعاً للأفكار والقيم التي تتضمنها إضافات الممثلين بفعل العادات والتقاليد والضوابط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

والعقائدية، وبما يتطابق مع مقاصدهم، إلا أن وظيفتها الأساسية تبقى ثابتة ومستمرة وهذا هو الهدف الأساس في تداوليتها واستمراريتها.

٦) أُناحت الحرية الفردية فرصة إطلاق معرفية الذات بالوقائع وبخفاياها، وتمكينها من السيطرة على الاهتمامات الواعية/ الشعورية، واللواعية/ اللاشعورية، والتعبير عن ذلك بصورة مميزة خاصة، وهذا ما ارتكز عليه التشابيه في تأكيد نزعة الحداثة القائمة على إطلاق المعرفة الحدسية من خلال بث عنصر الشد والجذب وإحداث الدهشة لدى المتلقين، عن طريق الألوان ودلالاتها الرمزية، وخلق سياقات إبداعية لا تتقيد ببنية الزمان والمكان .

ثانياً/ الاستنتاجات :

على الرغم من أن كل نتاج خاص بالواقعة، غايته الأساسية هي خدمة قضية ألطف بصيغة أو بأخرى، إلا إن العمليات التنظيمية البنائية التمثيلية للتشابيه، وطبيعة الانتقاء والقصدية للأدوار والألوان المعبرة عن شخصياتها التي تتوافق مع المضمون، تؤدي وترسخ قيم روحية وجمالية اصطلح عليها بالقيم الموضوعية. ولهذا يتنوع الأداء في الأدوار واختيار الألوان فطرياً، باختلاف أسلوب التعبير وكل ما يتضمنه من إيقاع وعلاقات، والملحق (رقم ١)، يبين دلالة اللون الرمزية العرفية وفق الرؤية المعاصرة. وعليه، فإن من خصوصية التشابيه هو الاتحاد بالمجموع، هذا الاتحاد الذي أدامها وأدى إلى ازدياد تعلق الناس بها بعدها (رمز وطقس) يرسخ العقيدة الإسلامية جيل بعد جيل. كما وإن استمرارية تجسيدها يؤدي إلى الإبداع في أدوارها وشخصياتها ووظيفتها الأساسية على الرغم من تجسيدها لهذه الوظيفة والغاية بشكل مجاز.

ثالثاً/ التوصيات :

خلال ما توصلت إليه الباحثة من نتائج، تقدم بعض التوصيات:-

- ١) الاهتمام بالمنهج التحليلي لدراسة دلالات الألوان في الآداب والفنون والممارسات الطقوسية.
- ٢) القيام بتدريس منهج تحليل العلاقات اللونية ودلالاتها في الفنون التشكيلية المعاصرة.
- ٣) الاستفادة من الدراسة الحالية في توجيه طلبة الفنون التشكيلية (الأولية والدراسات العليا)، وذلك باعتماد رؤى جديدة تؤمن حرية التعبير في المشاريع المُقدّمة، خاصة ما يتعلق بموضوعة ألطف، لما لها من انعكاس في تنمية الأساليب الفردية .

رابعا/ المقترحات :

- ١) إجراء دراسة مقارنة بين دلالات اللون في الرسم والشعر، في ضوء الدراسة الحالية.
- ٢) إجراء دراسة مقارنة بين دلالات اللون للأزياء في فنون الحضارات والشعوب المختلفة.

المصادر

_ القرآن الكريم.

_ اتفاق، محمد تقي كريم: طريق الجنان، منشورات دار الثقيلين، بيروت، ١٩٨٨.

_ الشال، عبد الغني: معجم المصطلحات العلمية والتربوية الفنية، عمادة شؤون المكتبات، الرياض، ١٩٨٤.

_ الأصفهانى، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط٢، تحقيق: عدنان داوودي، مطبعة النور، قم، ١٤٣٧هـ.

_ العلي، صالح أحمد: ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية الأولى، مجلة المجمع العلمي

العراقي، المجلد ٢٧، مطبعة المجمع العلمي، ١٩٧٦.

- __ النهيوم، الصادق: موسوعة بهجة المعرفة-الإنسان والمجتمع، ج٢، الهيئة العامة للنشر والإعلان، طرابلس، بت.
- __ الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٧٣٤. المتوكل، ابتسام: فاعلية اللون، مجلة الثقافة اليمنية، العدد ١٩٩٧، ٣٦.
- __ العامري، ضاري مظهر والمعموري، حامد عباس: دلالات الألوان في القرآن الكريم والفكر الصوفي وتأثير ذلك في الرسم العراقي المعاصر، مجلة كلية المعلمين، العدد ٢٦، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠١.
- __ ألجواهري، محمد مهدي: ذكرياتي، ج ١، دار الرافدين، دمشق، ١٩٨٨.
- __ الطائي، سلوى محسن حميد: توظيف الرموز الأسطورية لحضارة وادي الرافدين في الرسم العراقي المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة بابل/كلية التربية الفنية، ٢٠٠١.
- __ الحيدري، إبراهيم: تراجمديا كربلاء، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، مطبعة السرور، إيران، ٢٠٠٢.
- __ الحسيني، أياد: التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم في العصر الإسلامي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ١٩٩٦.
- __ المالكي، فاضل: يوم الحسين (ع)، مؤسسة البحوث والدراسة الإسلامية، ط ٢، مطبعة رمضان المبارك، ١٤٢٤هـ.
- __ بارا، أنطوان: الحسين في الفكر المسيحي، دار السرور للطباعة والنشر، إيران، ٢٠٠٤.
- __ حيدر، كاظم: التخطيط والألوان، طبع بمطابع جامعة الموصل، المديرية العامة للمطابع، ١٩٨٤.
- __ رياض، عبد الفتاح: التكوين في الفنون التشكيلية، ط ١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٤.
- __ سيرنج، فيليب: الرموز في الفن-الأديان-الحياة، ط ١، ت: عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، ١٩٩٢.
- __ سلمان، نضال حسن: اللون في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات-قسم عربي، ١٩٩٧.
- __ شبكة المعلومات العالمية: الانترنت: دلالة الألوان الرمزية، عبر الموقع. www.bafrea.net/porum.
- __ صالح، ضاري مظهر: مدلولات اللون في القرآن والفكر الصوفي، دراسة غير منشورة، ٢٠٠٨.
- __ صوت الغدير، نشرة فصلية تصدر عن رابطة الغدير الإسلامية، العدد ١، بغداد، ٢٠١٠.
- __ عناني، محمد: المصطلحات الأدبية الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٦.
- __ عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٢.
- __ كيرزويل، ادبث: عصر البنيوية، ت: جابر عصفور، دار آفاق عربية للصحافة والطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥.
- __ مغنية، محمد جواد: الحسين وبطلة كربلاء، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، النجف، بت.
- __ مدكور، إبراهيم: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٩.
- __ مايرز، فردريك: الرسم كيف نتذوقه، عناصر التكوين، ت: هادي الطائي، م: سلمان الواسطي، بغداد، ١٩٩٣.
- __ منسف، نوري كاظم: دلالة اللون في الشعر العباسي في ق ٣، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب/قسم اللغة العربية، ١٩٩٧.
- __ هيئة محمد الأمين (ص): الإمام الحسين (ع) من الميلاد إلى الاستشهاد، ط ٣، مكتبة الشيرازي، بيروت، ٢٠٠٣.

الملاحق

ملحق (رقم ١) أداة التحليل

ت	طبيعة اللون	دلالات اللون في القرآن الكريم والفكر الصوفي	دلالة اللون ورمزيته العرفية وفق الرؤية المعاصرة	الملاحظات
١	اللون الأبيض	يدل على الرحمة والخلود والجنة يدل على صورة النور والفجر والوضوح يدل على السير في الطريق السوي (طريق الحق) يدل على الخلو من سوء النظافة يدل على المسرة والاستبشار بالخير	يدل على رمز الإسلام والسلام والأمان يدل على صورة النور والفجر ووضوح الأشياء يدل على طريق الحق والعدالة والحرية يدل على الصفاء والنقاء والنظافة يدل على الطهارة والاستبشار بالخير والبركة	
٢	اللون الأزرق	يدل على إحدى صفات المجرمين وهيناتهم يدل على العمل البذيء والنفس الأمارة بالسوء	يدل على لون السماء يدل على معنى الحكمة والهدوء يدل على رمز طرد عين الحسد	
٣	اللون الأخضر	يدل على الزرع والنمو والشجر يدل على الخصب والخير والعطاء يدل على الراحة والأطمئنان يدل على شكل من أشكال الوسائد لأهل الجنة يدل على ديمومة الحياة وجمال الطبيعة	يدل على الزرع والنمو والشجر يدل على الخصب والخير والعطاء يدل على معنى الأمل يدل على لون من ألوان الجنة يدل على ديمومة الحياة وجمال الطبيعة	
٤	اللون الأصفر	يدل على الغبطة والمسرة يدل على وصف شكل العذاب والعقاب يدل على التحذير والتنبه من الغفلة	يدل على الغبطة والمسرة يدل على الشروق يدل على شكل من أشكال المرض والنحس يدل على معنى الغيرة والحقد والثأر	
٥	اللون الأحمر	يدل على الحذر والفرار من الخطر يدل على لون من ألوان نار جهنم يدل على لون الجبال التي أبدع تعالى في خلقها	يدل على الحذر والخطر يدل على لون الدماء والنار والشهادة يدل على معنى الإثارة والصراع والحرب	
٦	اللون الأسود	يدل على الخيبة والخسران يدل على ألوان الوجوه الخاسرة يوم القيامة يدل على المصير المشنوم يوم القيامة يدل على لون العتمة والإبهام يدل على صورة الكذب والتكبر لأهل النار	يدل على معنى الحزن الشديد والأسى يدل على ألوان الوجوه الخاسرة يوم القيامة يدل على الفأل المشنوم يدل على لون العتمة والظلام يدل على معنى الوقار والتكبر والكبرياء	